جامعة محمد بوضياف المسيلة	**د/ بوزبرة عبد السلام**
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	**فلسفة الدين (السنة الثانية ماستر)**
قسم الفلسفة	**السداسي الثالث : 2022 /2023**

المحاضرة الرابعة:04

تاريخية فلسفة الدين: من الفلسفة والدين إلى فلسفة الدين.

إن استقراء تاريخ الفكر الفلسفي يكشف عن الحضور الدائم للفكرة الدينية في تفكير الفلاسفة، حيث بُحث موضوع الدين في الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية والفلسفة المسيحية واليهودية في العصور الوسطى، ولم نشهد لحظة من تاريخ الفكر الفلسفي الا وفيها تصور أو بحث حول الدين، لكن ظلت هذه الأبحاث متناثرة ولم تخرج عن كونها لاهوتاً في بعض الأحيان، أو نقداً لجانب معين من الدين في أحيان أخرى . وهي لا ترقى لتشكيل بحث منظم و نسقي نسميه(فلسفة دين)، لذلك لم يظهر البحث الفلسفي المنظم والنسقي في الدين من حيث هو دين، و كميدان معرفي مستقل عن سائر فروع الفلسفة، الا في نهاية القرن الثامن عشر، حيث ظهرت اطروحة فلسفة الدي وهي نوع من الفلسفة تعتمد على

العقل في بحث المقدسات والمعتقدات والظواهر الدينية وتحليلها وتفسيرها في محاولة لشرح بواعث الدين في الروح والنفس والعقل، وكذلك البحث في نشأة المقدس وتجلياته في حياة الإنسان وصيرورته وتحولاته في المجتمعات البشرية، فظهور مصطلح "فلسفة الدين" في التداول الفكري الغربي أواخر القرن الثامن عشر، جاء ليحل محل مصطلح الإلهيات، وهو العلم الذي يحاول فيه أصحابه أن يحللوا منطقياً حجج وجود الإله أو الله الواحد عن طريق النقاش والمجادلة، ويستخدم هذا العلم عادة لإضفاء معقولية وعقلانية على العقائد الدينية باختلافها، فسابقاً كانت فلسفة الدين جزءاً من ما بعد الطبيعة عند القدماء، ثم استقلت عنها وكانت عند بعض أتباعها حرباً على الأديان وعند بعضهم الآخر تأييداً للعقائد الدينية وتدعيماً لتعاليمها، لكن طبيعة التغيرات التي طرأت على الفكر الغربي، وعلى إطاريه الاجتماعي والتاريخي منذ عصر النهضة (وبخاصة حركة الإصلاح الديني والنزعة الإنسانية في القرن الخامس عشر الميلادي) حتى عصر التنوير الأوربي(في القرن الثامن عشر الميلادي) الذي جعل العقل الإنساني معياراً في مختلف المعارف والفنون ...، قد أثرت تأثيراً بالغاً على تطور اللاهوت الغربي، لذا نستطيع القول ان سبب ظهور اختصاص جديد تحت عنوان فلسفة الدين يحتاج الى تبرير ومعرفة سبب ظهوره كميدان مستقل في البحث الفلسفي؟ ،

في هذا السياق؛ ظهرت أطروحتان فلسفيتان لتفسير وتبرير ظهور فلسفة الدين بشكل مستقل ، هما:

الأولى: وترى أن وجود تنظير لموضوعات فلسفة الدين وإيجاد نظريات في هذا المجال، ما هو إلا خلاصة لمساعي المتألهين المحدثين الرامية إلى عصرنة الأفكار والحياة الدينية ، فكان من الضروري ظهور ثورة تجديدية في الإلهيات المسيحية .

و الثانية : ترى ان اثر الظروف الفكرية والثقافية الخاصة التي هيمنت على المناخ الغربي في حينه . واهتمام الفلاسفة بالحقل الديني وبحث عدة موضوعات ، انما انبثق عن التحول الفكري الذي تجلى في مرحلة الحداثة . وهذه المرحلة التي بدأت منذ القرن السابع عشر تقريباً تشتمل على خصيصتين رئيستين هما (محورية الإنسان) و (التعويل على العقل) ، فجاء نتاج فلسفة الدين كمحاولة منها لعقلنة الدين ، والاقتراب كثيراً من الإنسان بوصفه المركز في هذا الوجود .

ومن خلال هذين الطرحين تبدو الأطروحة الثانية، هي الاقرب الى الموضوعية ، وما يدلل على ذلك؛ أن كانط الفيلسوف الألماني في كتابه "الدين في حدود العقل وحده" يقول : (في مقابل اللاهوت الخاص بالكتاب المقدس يوجد لاهوت فلسفي داخل حدود العقل المجرّد، حيث يستخدم في قضاياه التاريخ واللغات وكتب الشعوب جميعها حتى الكتاب المقدس، الا انه يفعل ذلك كما يقول كانط (من اجل ذاته)، فاللاهوت الكتابي يتحول إلى لاهوت فلسفي عندما ينظر الى موضوعاته بنور العقل وحده ، ويعبر عنه كانط بالبحث الفلسفي في الدين. وهذا دلالة على نشوء فلسفة الدين في القرن الثامن عشر في حقبة التنوير الإنساني وكذلك مع حقبة الحداثة بوصفها داعمة لعقلنة الحياة ...، ويمكننا أن نبرز القرن الممتد تقريباً من عام 1730م حتى عام 1830م ، هو مرحلة تشكل النظريات الفلسفية حيال الدين، وتمتد هذه المرحلة من التأملات الباكرة لهيوم في مشكلات الدين، وحتى محاضرات هيغل الأخيرة في فلسفة الدين، وتتوسط المكان بينهما، بحسب الترتيب الزمني وبحسب الموضوع، فلسفة الدين عند كانط . إن هؤلاء الفلاسفة بالذات هم من وضع الأسس الكلاسيكية للنظريات الفلسفية المعاصرة حول الدين .

لقد اختلف الباحثون في فلسفة الدين حول سؤال تأسيسها ، فمنهم من يتفق مع نشأة فلسفة الدين وتقعيدها مع الفيلسوف الالماني عمانؤيل كانط ، وذكرنا قوله أعلاه. ومنهم من يرى ان بينيديكت سبينوزا هو مؤسس فلسفة الدين بالمعنى المعاصر ، فالشروط من أجل بحث فلسفي للدين نجدها لأول مرة، وعلى وجه الإجمال، عند سبينوزا... فمن هنا تبدأ المرحلة الأولى من تاريخ فلسفة الدين، التي ينبغي لنا أن نسميها تبعاً لموقف الفكر النقدي من الدين الوضعي مرحلة فلسفة الدين النقدية.

إلا معظم الفلاسفة اللاحقون يميلون الى الرأي الأول القائل بأسبقية عمانؤيل كانط في بحث موضوع فلسفة الدين، اذ قدم تفسيراً عقلانياً نقدياً للدين بشكل كلي ، من منظور العقل النظري والعقل العملي ، وأخضع فيه المعتقدات الدينية والعلاقة بين الإنسان والله كما يقدمها الدين للبحث الفلسفي المستفيض ، محكماً المعايير العقلية وحدها . لكن بالمجمل ومن حيث المساحة العامة بدأت موضوعات فلسفة الدين مع حقبة الحداثة ومع فلاسفة التنوير وبقي حالها حتى استقرت مع القرن التاسع عشر واستمرت النتاجات حتى مع الفلاسفة المعاصرين .

اما فيما يتعلق بالتحديد الاصطلحي لـ((فلسفة الدين))، فلم يظهر إلا في بداية القرن التاسع عشر، حيث بدأ شيوعه واستخدامه للدلالة على مجال فلسفي مستقل ومنفصل ، ويرجع الفضل في هذا الى حد كبير للفيلسوف الألماني هيجل في كتابه ((محاضرات في فلسفة الدين)) (المنشور سنة 1832 ومابعدها)، إذ ألقاها هيجل كمحاضرات على طلابه قبل ذلك عام 1821م ، وعام 1824م ، وعام 1827م، وعام 1831م ، وهي سنة وفاته، وان كان هناك رأي أخر يرى ان أول من استخدم هذا المصطلح في القرن التاسع عشر الميلادي، هو برجر (Berger) عالم الاجتماع الديني الالماني، ولكونه متخصصا في علم الاجتماع الديني لذا لم يقدم فلسفة الدين بطريقة صحيحة بحسب قول بعض النقاد، لذا نميل الى كفة هيجل في عرض المصطلح.. وهكذا تعاقبت النتاجات في ما بعد ، إذ جاء الفيلسوف الألماني شيلنج ليبحث في فلسفة الدين في كتابه ((محاضرات في الوحي والأساطير)) سنة 1843م .

وكتب جوان ستيوارت مل ثلاثة مقالات في الدين ونشرت بعد وفاته سنة 1874م وهكذا بدأت بحوث فلسفة الدين تأخذ طريقها وصولاً إلى القرن العشرين ، حيث بدأ التدفق في الإنتاج الفلسفي حول الدين ، سواء كنصوص فلسفية ، أو كدراسات بحثية عن انتاج الفلاسفة ، ففي عام 1901م أصدر هوفدينج الفيلسوف الدنماركي كتابا بعنوان(فلسفة الدين)، وكذلك وليام جيمس القى عدة محاضرات في 1901. 1902م ونشرت بعنوان(تنوعات الخبرة الدينية) وعمل على قراءة الخبرة الدينية من منظور نفسي وفلسفي في آن واحد. وهكذا استمر النتاج الفلسفي في حقل فلسفة الدين مع تنوع الموضوعات وتعدد اشكاليتها المعاصرة في مجالات متعددة حتى يومنا هذا، فالموضوعات ومسائل تكاد تستحدث بين الحين والآخر، فسؤال فلسفة الدين متطور دائما.

المصادر والمراجع:

- عبد الجبار الرفاعي: فلسفة الدين / تمهيد تاريخي ، بحث ضمن كتاب : تمهيد لدراسة فلسفة الدين، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 2014.

- محمد عثمان الخشت : فلسفة الدين . مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. 2001.

- يُنظر إدالكوس ، د. عبد الله : الإنسان في فلسفة الدين: دراسة في الأسس التصورية/ بحث منشور في موقع مؤمنون بلا حدود http://www.mominoun.com . 2014/9/7 .وكذلك يُنظر بشروئي، سهيل و مسعودي ، مرداد: تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة ، ترجمة محمد غنيم ، ط1 ، دار الساقي ، بيروت ـ لبنان ،2012م ، ص39 .44

- توفيق الطويل: أسس الفلسفة ، ط4 ، دار النهضة العربية ـ القاهرة ، 1964.

- روبرتس سولمون: الدين من منظور فلسفي (دراسة ونصوص) ،ط1 ، العارف للمطبوعات ،بيروت، 2009.

- أحمد قراملكي : الهندسة المعرفية لعلم الكلام الجديد ، ترجمة حيدر نجف وحسن العمري ، مراجعة عبدالجبار الرفاعي ، ط1 ، دار الهادي ـ بيروت ، 20023.

- علي شيرواني : التجربة الدينية ، مجلة قضايا إسلامية معاصرة ،. العدد 51ـ52.

- إيمانويل كانط: الدين في حدود مجرّد العقل ، ترجمة فتحي المسكيني ، دار جداول ، بيروت .لبنان ، ط1.

- كميليف، يوري أناتوليفتش : فلسفة الدين الغربية المعاصرة، ترجمة هيثم صعب . ص7_9، الهيئة العامة السورية للكتاب /سلسلة الكتاب الالكتروني للنشر http://www.syrbook